وسئل رضي الله عنه عن بعض الشخصيات

obeikandl.com

obeikandl.com

فى سيدنا آدم عليه السلام وبناء البيت الحرام

وردت روايات مختلفة وليست بالقوية حول بناء البيت ، أقربها إلى القبول أن آدم عليه السلام هو أول من بناه ، ثم بنى بيت المقدس بعده بأربعين سنة . . ويشير إلى ذلك ماروى فى الصحيحين ، عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله : « أى مسجد وضع فى الأرض أولا ؟ قال المسجد الحرام قلت : ثم أى : قال المسجد الأقصى . . قلت : كم كان بينهما ؟ قال : أربعون سنة » .

ومما لا شك فيه أن إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام بنيا البيت ، ورفعا قواعده قال تعالى : (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت) أى عيناه له ، وجعلنا منزله عنده وعبادته فيه . وقال : (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) والآية الكريمة تشير إلى أن القواعد كانت موجودة ، وكان عمل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أن يرفعا هذه القواعد أى يبنيا عليها حتى ترتفع ارتفاعاً كاملاً . والله تعالى يقول : (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين) وهو ما يتناسب وبناء آدم عليه السلام له . . وقد روى ابن أبى حاتم بسند صحيح عن سيدنا على رضى الله عنه قال : (كانت البيوت قبله – أى قبل البيت – ولكنه أول بيت وضع لعبادته تعالى) .

أما عن داخل الكعبة ورؤية الله فى السماء منه فخيال مخالف للدين ، والله تعالى منزه عن أن يحل فى السماء ، فى مقابلة الكعبة أو أن تدركه الأبصار ، وهو خيال يخالف الواقع وتكذبه التجربة فقد دخل الكعبة كثيرون من الصالحين ولم يرد عنهم ما يفيد شيئاً من ذلك وهذا لا ينافى فضل الكعبة وأنها هدى للعالمين ومجمعاً للمؤمنين .

فى لماذا اختار الله الجزيرة العربية للرسالة المحمدية ؟

يقول الله تعالى : (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركًا) ، وهذا البيت كان قبل إبراهيم عليه السلام ، وإبراهيم عليه السلام إنما رفع قواعده التى كانت موجودة من قبل : (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) .

وكما كان أول بيت للعبادة فإنه فى التقدير الأزلى آخر بيت لله تعالى فيه العبادة على الوجه الصحيح ، ولقد اختار الله تعالى الجزيرة العربية للرسالة المحمدية .

لأن بها بيته هذا المحرم ، ملتقى الحجيج من كل جانب من جوانب الأرض ، ولأن أهلها كانوا حينئذ أحسن الناس استعداداً لحمل رسالة الله ، ولو أن الرسالة كانت فى غير جزيرة العرب ما وجدت آذاناً صاغية ، ولا قلوبًا واعية ، ذلك أن الروم كانوا أهل دين يصعب عليهم تركه إلى دين آخر ، والفرس كانوا ذوى ملك وسلطان يرون فيها العزة والمتعة ولا يمكن أن يدينوا معها بدين آخر من أبرز ما فيه تغيير العقيدة وتغيير الأنظمة وإزالة الطغيان الذى كان سمة كثير من الملوك والأمراء .

لذلك كانت الجزيرة العربية المكان الصالح لنشر الدعوة المحمدية ، لأن أهلها كانوا بفطرتهم وعدم انتمائهم لأى دين من الأديان – التى كانت حينئذ – مهيئين لقبول الرسالة وحملها ، ولقد رفض اليهود الإسلام بالمدينة وما حولها ، وهم يعلمون تمام العلم صفة رسول الله ﷺ فى كتابهم ولكن خوفهم من ذهاب السلطان جعلهم يجحدون .

فى سيدنا نوح عليه السلام

إن المصدر الوحيد الصحيح عن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام الآن إنما هو القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ولا يوجد كتاب آخر يمكن أن يوثق به فى المعلومات الخاصة ، بسيدنا نوح عليه السلام ، والقرآن لم يتحدث عن المكان الذى دفن فيه سيدنا نوح ، وكل ما يذكر فى هذا إنما هو ضرب من التخمين ، ويجب ألا نعيره التفاتاً ، وما من شك فى أنه لا مستند من التاريخ لدى صاحب بدائع الزهور .

أما كرك فإنه اسم لموضوعين : أحدهما قلعة مشهورة حصينة ، فى طرف البلقاء من أرض الشام من ناحية جبال الشراة ، وليست هى المقصودة ، وإنما نبهنا عنها حتى لا تلتبس بالأخرى .

والبلدة المقصودة هى قرية كبيرة من نواحى بعلبك ، لأن بها قبراً طويلا يزعم أهل تلك النواحى . أنه قبر سيدنا نوح عليه السلام ، وما من شك فى أنه لا يتأتى إثبات ذلك تاريخيًّا .

هل هناك أنبياء هاجروا قبل سيدنا محمد ، هاجروا بأبدانهم ودعوتهم ؟ وإذا كانت الهجرة مرتبطة بالدعوة فما معنى الهجرة هنا ؟ ولماذا هذا الارتباط ؟

أولا : هاجر سيدنا إبراهيم عليه السلام ، هاجر من أورالكلدانيين إلى حران بلدة بين دجلة والفرات فى بلاد العراق إلى دمشق ، وشرق الأردن ، وفلسطين ، ومصر ، والحجاز .

ثانيًا : سيدنا يعقوب هاجر من عين مولح إلى قدان أرام من أرض العراق حيث خاله هناك . ثم رحل بعد عشرين سنة إلى فلسطين ، ثم هاجر إلى مصر أيام كان يوسف بها .

ثالثاً : سيدنا موسى هاجر من مصر إلى مَدْين بأرض بين الحجاز والشام قبل نبوته ، ولما أمعن فرعون فى إذلال بنى إسرائيل ومن معه من المؤمنين به هاجر هو ومن معه من المؤمنين واجتازوا البحر إلى جهة غير مصر ، وأغرق الله فرعون ومن معه .

الهجرة دائماً مرتبطة بالدعوة إلى الله ، ولما لم تفد الدعوة فى قوم يودون التخلص من الداعى وكل ما يمت إليه بسبب ، فإن الله جلت قدرته يفتح للدعوة ميداناً آخر تشق فيه طريقها وتبلغ به غايتها ، لتقوم بذلك الحجة ، لله ولرسوله على الذين خالفوا ولم يؤمنوا وحاربوا الأنبياء حتى اضطروهم إلى الفرار بدينهم هم ومن معهم من المؤمنين ، فالهجرة لا تنفك عن الدعوة ، وقد تنفك الدعوة عن الهجرة ، فإن الله عز وجل قد يبعث رسولا ، ويكون له فيهم من الحياة والسلطان ما يمنعهم من التسلط عليه كيوسف عليه السلام . قال تعالى : (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) آية ٣٤ من سورة غافر .

فى سيدنا إسماعيل عليه السلام

إسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، أما القول بأنه إسحاق فباطل من عشرين وجهاً .

فى كتاب اليهود أن الله أمره أن يذبح ابنه بكره ، وفى لفظٍ (وحيده) ، ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده .

قد بشر الله أم إسحاق به وبابنه يعقوب فقال تعالى عن الملائكة : (وامرأته قائمة فضحكت

فبشرناها بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب) محال أن يبشرها بأن يكون له ولد ثم يأمر بذبحه . . ثم قال تعالى : (وبشرناه بإسحاق نبيًّا من الصالحين) بشارة من الله وشكراً على صبره على ما أمر به .

سمى الذبيح حليماً لأنه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبح طاعة لربه ، ولما ذكر إسحاق سماه عليماً ، والقرآن يقدم إسماعيل دائماً . إن الله سبحانه أجرى العادة البشرية أن بكر الأولاد أحب إلى الوالدين ممن بعده ، وإبراهيم عليه السلام لما سأل ربه الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته ، والله تعالى قد اتخذه خليلا ، والخلة منصب يقتضى توحيد المحبوب بالمحبة وألا يشارك بينه وبين غيره فيها ، فلما اتخذ الولد شعبة من قلب الوالد جرت غيرة الخلة تنتزعها من قلب الخليل ، فأمره بذبح المحبوب فلما أقدم على ذبحه وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة ، فلم يبق فى الذبح مصلحة ، إذ كانت المصلحة إنما هى فى العزم ، وتوطين النفس فيه ، فقد حصل المقصود فنسخ الأمر وفدى الذبيح ، وصدق الخليل الرؤيا وحصل مراد الرب .

فى سيدنا موسى عليه السلام

إن الله سبحانه وتعالى حينما تحدث عن سيدنا موسى فى سورة القصص حينما كان سيدنا موسى بمصر أن رجلا جاء من أقصى المدينة يسعى ليعرف موسى بأن الملأ يأتمرون به ليقتلوه ، ونصحه بأن يخرج فى سرعة حتى لا يناله منهم شر ، فخرج موسى خائفاً يترقب داعياً الله سبحانه أن ينجيه من القوم الظالمين .

واتجه موسى عليه السلام إلى مدين ، ولما وصلها ووقف على البئر الذى يستقى منه أهل مدين وجد زحاماً شديداً لسقى الماشية ، ووجد امرأتين تمنعان مواشيهما من الماء حتى لا تصابا بأذى فى الزحام ، فقال لهما ماشأنكما ؟ فعرَّفتاه أنهما تنتظران أن ينصرف الرعاة فيخف الزحام ليسقيا مواشيهما وعرفتاه أن أباهما شيخ كبير عاجز عن الخروج والسقى ، فسقى لهما ، وبعد قليل جاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا . . إلى آخر هذه القصة المعروفة .

هذه القصة لم يذكر الله سبحانه وتعالى فيها اسم « الشيخ الكبير » ولم تذكر الأحاديث الصحيحة الاسم ، ومن هنا اختلف العلماء فى الشيخ ، وهل كان شعيباً أو غيره ؟ ولمَ تتجه الأذهان إلى سيدنا شعيب عادة ؟

لقد اتجهت الأذهان إلى سيدنا شعيب بالذات لأن القرية التى وصل إليها سيدنا موسى هى قرية مدين ، وقد كان سيدنا شعيب بها ، وليس هناك من سبب سوى هذا ، وأن هذا لا يقوم وحده بتحديد اسم الشيخ الكبير .

وما هو الموقف السديد فى مثل هذه الأمور ؟ والأوفق أن يدع الإنسان أمر هذا الشيخ إلى الله ومهما بحث الإنسان فلن يصل إلى اليقين فى الموضوع ، إذ إن اليقين فى هذه الأمور البعيدة عنا فى الزمن بعداً كبيراً ليس بالأمر السهل ، وذلك لأن اليقين يتأتى عن النص الإلهى ولا نص ولا تاريخ ثابتاً فى هذا ، فوجب التوقف وهو أسلم ، خصوصاً أن الأمر ليس أمر عقيدة مطلوبة أو إيمان مفروض .

فى سيدنا لقمان عليه السلام

ظاهر نصوص الكتاب والسنة تدل على أن لقمان لم يكن نبيًّا ، بل كان رجلا أخلص لله نفسه فتفجرت ينابيع الحكمة من قلبه ، وتحدرت من لسانه جداول يرتوى من سلسالها العذب كل من أضناه الفكر ، وأحرقت الحيرة قلبه .

وليس ما آتاه الله لقمان الحكيم بعزيز على غيره ، فقى بعض أفراد أمتنا المحمدية شخصيات امتازت بعمق نظرتها وجلاء فكرتها ، فعمر بن الخطاب أمير المؤمنين والخليفة الثانى لرسول الله ﷺ كان القرآن ينزل مصدقاً لقوله ، كما نزل حاكياً لقول لقمان ، ولم يكن عمر رضى الله عنه نبيًّا ولكنه كان من المخلصين ، وله من الحِكم التى تدل على صدق فراسته وعمق عبقريته ما يجعله فى الرعيل الأول من سادة الحكماء ، وكذلك لسيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه من الحِكم ما يجعل الناظر فيها والسامع لها يخر لله ساجداً لقوة جرسها فى سمعه ، واستيلاء معانيها على قلبه ، ولابن عطاء الله السكندرى وغيره من المتصوفين من الحِكم ما يرتقى من يعقلها من خصيصة الهوى والشهوات إلى أوج الخضوع لله تعالى والمسارعة فى الطاعات .

وما على الذى يريد شيئًا من ذلك إلاّ أن يستديم الإخلاص لله تعالى ، فقد ورد أن من أخلص لله أربعين يوماً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه .

فى سيدنا يونس عليه السلام واسم السمك الذى ابتلعه ، والبحر الذى ابتلعه فيه

اسم السمك الذى ابتلع سيدنا يونس هو الحوت ، وهو صنف من السمك معروف ، أما البحر الذى ابتلعه الحوت فيه فهو البحر المتوسط ، حيث ذكر الإمام القاسمى فى تفسيره أن الله تعالى أمر يونس أن ينطلق إلى أهل نينوى من أرض الموصل ليدعوهم إلى الإيمان به تعالى وحده ، وإلى إقامة القسط ، ونشر العدل وحسن السيرة ، وكانوا على الضد من ذلك ، لقد تعاظم كفرهم وتزايد فخشى أن لا يتم الأمر معهم ، فأبَقَ من بيت المقدس إلى يافا ، ونزل فى سفينة سائرة إلى ترشيش ليقيم فيها .

ومن المعلوم أن يافا على البحر المتوسط وأنه البحر الوحيد فى هذه المنطقة . قال بعض المحققين ، ولعل هذا الحوت من النوع المعروف « بالزفا » وهو من كبار الحيتان المتنوعة الهائلة الجثث ، التى لم يزل يصطاد منها فى هذا العصر ، وفى بطونها أجساد الناس بملابسهم ، يبتلع الرجل برمته دون أن يخدشه أو يجرحه ، ولكن المعجزة مع سيدنا يونس عليه السلام أنه مكث فى بطنه مدة كبيرة مالكاً رشده ، ملازماً الدعاء والتسبيح والتضرع إلى الله سبحانه ، حتى فرج الله عنه الشدة وأزال عنه الكرب .

فى سيدنا يوسف عليه السلام

قال تعالى : (لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين) أى فى خبره وخبر إخوته فالذين أوقعوا سيدنا يوسف فى الجب هم إخوته من أبيه فقط .

وقد اختلف فى موقع الجب أى البئر الكبير ، فقيل ببيت المقدس وقيل بأرض الأردن .

وقد أورد الله سبحانه وتعالى قصة يوسف وإخوته فى القرآن الكريم من أجل العبر والعظات الكثيرة التى تؤخذ منها ، والواقع أن السورة الكريمة سورة يوسف ، مليئة بما يجب التأمل فيه والتروى ، والله سبحانه وتعالى يشير إلى ذلك فى هذه السورة على الخصوص إذ يقول فى مفتتحها : (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن) ويقول فى آخر السورة : (لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب . . لقوم يؤمنون) .

فعلينا أن نتجه إلى عظات هذه السورة وعبرها لعل الله ينفعنا بها .

فى سيدتنا مريم عليها السلام

يقول الله تعالى فى سورة مريم : (واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقيًّا ، فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويًّا ، قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إنْ كنت تقيًّا . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيًّا) .

كانت مريم رضوان الله عليها من بيت طاهر وقد نذرتها أمها قبل أن تلدها قائلة : (ربِّ إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً فتقبل منى إنك أنت السميع العليم) ولقد تقبل الله نذرها بقبول حسن وأنبت مريم نباتاً حسناً ، ونشأت مريم على العبادة والزهد والتنسك ، ونشأت فى كفالة نبى الله زكريا يرعاها ويوجهها ، ولما وجدت أن الاختلاط بالناس لا يمكِّن الإنسان من التفرغ لما ينبغى للعبادة اتخذت مكاناً شرقيًّا بعيداً عن أهلها ، واستترت بحجاب حتى لا تحجبها رؤية الخلق وسماع أحاديثهم الدنيوية عما يفيضه الله عليها من أنواره وتجلياته ، وبينما هى فى هذا المعتكف ظهر لها كائن على الصورة البشرية فظنته إنساناً يريد بها السوء ، ويريدها على نفسها فاستعاذت بالله منه قائلة : (إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) أى إن كنت تخاف الله وتتقيه وتعمل بأوامره ، والتَّقىُّ ينهاه إيمانه ودينه عن أن يسىء ، خصوصاً إذا ذكره إنسان بالله فتقى فى الآية صفة وليست اسماً لشخص .

هذا هو الصحيح الذى عليه جمهور المفسرين ، ولما أخبرها أنه رسول الله إليها ليهب لها غلامًا زكيًّا هدأت من جانب ظن السوء به ولكن القلق غمرها لأمر آخر لسنا بصدد بيانه .

فى السيدة عائشة رضوان الله عليها

كانت السيدة عائشة رضوان الله عليها أحب نساء رسول الله ﷺ إليه وقد سُئل رسول الله ﷺ عن أحب الناس إليه : فقال : عائشة ، فقيل له : ثم من قال أبوها : (صديقة بنت صديق)

فى ورقة بن نوفل

يتردد سؤال عن ورقة بن نوفل – أول من عرف رسالة الرسول – ﷺ هل مات مسلماً ؟ والحقيقة أن ورقة بن نوفل هو ابن عم السيدة خديجة رضى الله عنها ، وقد ذهبت إليه مع الرسول ﷺ بعد أن رجع إليها يرجف فؤاده بعد أن جاءه جبريل لأول مرة وهو معتكف فى غار حراء ، وقص الرسول ﷺ ما رأى فقال له ورقة : « هذا الناموس الذى نزل على موسى ، ليتنى أكون حيًّا إذ يخرجك قومك من بلدك ، فقال : أَوَ مُخرجىَّ هم ؟ قال نعم : لم يأت أحد بمثل ما أتيت به إلا عُودِى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، ولم يلبث ورقة أن توفى بعد ذلك .

قيل فى الروض الآنف : آمن ورقة بن نوفل بالنبى ﷺ قبل البعثة ، أى قبل أن ينزل عليه ﷺ ، قول الله تعالى : (يأيها المدثر قم فأنذر) . روى الترمذى بإسناد جيد عن عروة بن الزبير رضى الله عنه قال : سُئل رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل كما بلغنا فقال : لقد رأيته فى المنام عليه ثياب بيض أظن أن لوكان من أهل النار لم أر عليه البياض .

قيل فى الروض الآنف : وكان يذكر الله فى شعره فى الجاهلية ومن ذلك قوله :

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم ... أنا النذير فلا يغرركم أحد
لا تعبدن إلهاً غير خالقكم ... فإن دعوكم فقولوا بيننا جدد
سبحان ذى العرش سبحاناً يدوم له ... وقبلنا سبح الجودى والجمد

والواقع أن فى كلام ورقة لرسول الله ﷺ ما يشعر شعوراً واضحاً بأنه آمن به وعلى ذلك يكون قد مات مسلماً .

فى أى يوم بدأ سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتعلّم القرآن

كان عمر بن الخطاب شديداً على المسلمين قبل أن يسلم ، وكان الرسول ﷺ يدعو الله بأن يعز به الإسلام .

والسبب فى إسلامه أنه دخل على أخته وزوجها وعندهما من يعلمهما القرآن ، فلما سمعوا طرقه على الباب اختفى زوج أخته وأخفت أخته الصحيفة ، ولما دخل عليها وسألها عما سمع وأغلظ لها

القول وضربها اعترفت له وأعطته الصحيفة فقرأ فيها : (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . .) فدخلت حلاوة الإيمان فى قلبه وذهب مسرعاً إلى رسول الله ﷺ معلناً إسلامه .

ومن هذا اليوم بدأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقرأ القرآن ويتعلمه .

فى سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه

روى البزار بسند فيه رجال وثقوا على ضعفهم عن أبى رافع أن رسول الله ﷺ قال فى على : « من أبغضه فقد أبغضنى ، ومن أبغضنى فقد أبغض الله ، ومن أحبه فقد أحبنى ومن أحبنى فقد أحبه الله » .

وروى الطبرانى بإسناد حسن ، عن أم سلمة قالت : « أشهد أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول من أحب علياً فقد أحبنى ومن أحبنى فقد أحبه الله ، ومن أبغض علياً فقد أبغضنى ومن أبغضنى فقد أبغض الله » .

وروى الطبرانى بإسنادين – قال فى مجمع الزوائد أحسب فيهما جماعة ضعفاء وقد وثقوا عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ : « أوصى من آمن بى وصدقنى بولاية على بن أبى طالب ، من تولاه فقد تولانى ومن تولانى فقد تولى الله عز وجل ، ومن أحبه فقد أحبنى ومن أحبنى فقد أحب الله تعالى ، ومن أبغضه فقد أبغضنى ومن أبغضنى فقد أبغض الله عز وجل » .

وهذا هو الحديث الذى ذكره السائل : وقد ورد مما يؤيده فضلا عن ذلك حديث غدير خم ، وقد ورد بعدة روايات نذكر منها ما رواه أحمد بسند رجاله رجال الحديث الصحيح عن سعيد بن وهبة قال : نشدعلى عليه السلام الناس فقام خمسة أوستة من أصحاب النبى ﷺ فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال : « من كنت مولاه فعلى مولاه » .

والمراد بالولاية هنا ولاية الدنيا الحب وعدم الذم أوالانتقاص كما يفعل الجاهلون ، أما ولاية الملك والسلطة فغير مرادة هنا ، لأن النبى ﷺ أوصى ببيته خيراً وأوصى بعلى خيراً ، ولم يوص بملك أو خلافة لأحد . . وإن كان قد أشار إشارات واضحة إلى خلافة أبى بكر ، وقد نفى على رضى الله عنه أن يكون الرسول ﷺ أوصى له بشىء أو اختصه بعلم خاص كما أشاع بعض الناس ، كما فى صحيح البخارى ، من أن علياً سُئل هل أوصى لكم رسول الله ﷺ فقال : « ما عندنا إلا كتاب الله وهذه الصحيفة ، فإذا فيها العقل (أى الدية) وفكاك الأسير وألا يقتل مسلم بكافر » .

والمسلمون جميعاً يحبون سيدنا علياً كما يحبون أهل البيت ، لأنهم من رسول الله ﷺ ، والمسلم الصادق يحب سيدنا أبا بكر الصديق رفيق رسول الله ﷺ فى الغار وصاحبه فى الهجرة ، والذى يقول له ﷺ : (لا تحزن إن الله معنا) ويحب المسلمون عمر بن الخطاب الفاروق الذى كان إذا سلك طريقاً سلك الشيطان طريقاً غيره ، والذى يقول فيه رسول الله ﷺ فيما ذكره عن المحدثين : « فإن كان فى أمتى محدَّث فعمر منهم » .

لماذا يُقال عند ذكر أحد الصحابة « رضى الله عنه »
وعن ذكر على « كرم الله وجهه » ؟
ومن هم الذين قال الله فيهم : رضى الله عنهم ورضوا عنه

الرضا من الله سبحانه وتعالى على العبد معناه قبول عمله ومكافأته عليه ، ورضا العبد عن الله معناه فرحه بما أعطاه من أنواع الكرامة والنعيم .

والذين رضى الله عنهم ورضوا عنه هم المؤمنون المتقون الذين ذُكروا فى قوله تعالى فى سورة البينة : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه).

ويدخل فى هؤلاء كثير من الطوائف على تفاوت فيما بينهم ، يدخل فيها الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى قوماً معينين وأعلن أنه رضى عنهم ، يقول الله سبحانه وتعالى : (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة).

وكل بيعة للجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس إنما هى رضاء لله سبحانه وتعالى ، والذين يبايعون الله بأموالهم وأنفسهم مخلصين ضمن الله لهم الجنة ، فهو راضٍ عنهم وهم راضون عنه ، والآية الكريمة تدل دلالة واضحة على أن كل من آمن وعمل صالحاً – أى التزم بحدود الله فى أوامره والتزم بحدود الله فى نواهيه – فقد رضى الله عنه وقد رضى عن الله سبحانه وتعالى .

وسيدنا على هو ابن عم رسول الله ﷺ ، وقد أسلم صغيراً فلم يضع جبهته على الأرض سجوداً لصنم ، إذ إنه دخل فى الإسلام وهو غلام ومن هنا كرم الله وجهه بأن لم يسجد إلا لله سبحانه .

سيدنا على كرم الله وجهه

كان لسيدنا على أنصار وشيعة بايعوه بالخلافة ووافقوه على رأيه فى محاربة من لم يقرّوا له بالخلافة لخروجهم على رأى جماعة المسلمين.

وفى موقعة صفين – بين علىّ ومعاوية – كاد علىّ أن ينتصر، فرفع جيش معاوية بمشورة عمرو بن العاص المصاحف على الرماح ونادوا بيننا وبينكم كتاب الله. « من لثغور الشام بعد أهل الشام، ومن لثغور العراق بعد أهل العراق ».

كان الخوارج أو القراء أول من أشار بقبول التحكيم وشكلوا قوة ضاغطة على سيدنا علىّ، وأحاطوا به وهددوه بالقتل كما فعلوا بعثمان، إذا لم يقبل التحكيم، وأراد أن يختار ابن عباس حكماً عنه فأبوا إلا أبا موسى الأشعرى.

فلما ظهرت نتيجة الحكم ثار الخوارج على علىّ لأنه قبل التحكيم وانفصلوا عنه، ناقشهم فعادوا إلى الجماعة، ثم انفصلوا مرة ثانية، ناقشهم عبد الله بن عباس فرجع أكثرهم وبقيت جماعة تركهم علىّ، لكنهم أفسدوا فى الأرض وقتلوا الأبرياء واحترموا ذمة الكفار، ولم يحترموا حرمة المسلمين، قاتلهم علىّ بعد أن أعلنها صريحة مدوية: أنهم المارقة الذين قال الرسول ﷺ فى حقهم: « يمرقون، من الدين كما يمرق السهم من الرمية ».

سيدنا أبى الدرداء رضى الله عنه

أبو الدرداء رضى الله عنه، كما يقول الذهبى، الإمام القدوة قاضى دمشق، وصاحب رسول الله ﷺ، أبو الدرداء عويمر بن زيد بن قيس حكيم هذه الأمة، وسيد قرائها.

وهو معدود فيمن قرأ القرآن على الرسول ﷺ ولم يثبت أنه قرأ على غير الرسول ﷺ.

وهو معدود فيمن جمع القرآن فى حياة رسول الله ﷺ. وتصدر للإقراء فى خلافة عثمان رضى الله عنه بدمشق، وولى بها القضاء، أسلم أبو الدرداء يوم بدر ثم شهد أحداً وكان فيمن رد المشركين عن الجبل ومنعهم من الانقضاض على المسلمين، وقال فيه رسول الله ﷺ نعم الفارس عويمر..

وقد جمع رضى الله عنه بين العلم والعمل، وقد غلب عليه جانب التعبد.

ولما رأى سلمان الفارسى رضى الله عنه استغراق أخيه أبى الدرداء فى العبادة وكان الرسول ﷺ قد آخى بينهما ، أقسم عليه ليفطرن ، ولينامن ، وقال له إن لجسدك عليك حقًّا ولربك عليك حقًّا ولأهلك عليك حقًّا .

أما عن قبره فهو موجود بدمشق ، قال الذهبى :

لما كان زمن عمر كتب إليه يزيد بن أبى سفيان أن أهل الشام قد كثروا وملئوا المدائن واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ، ويفقههم فى الدين ، فأعنِّى برجال يعلمونهم فأرسل إليه ثلاثة رجال : ثم ذكر أن الثلاثة كانوا عبادة بن الصامت بحمص ، وأبى الدرداء بدمشق ، ومعاذ بن جبل بفلسطين . . ولم يزل أبو الدرداء بدمشق حتى مات ، وكان موته سنة ٣١ أو سنة ٣٢ من الهجرة النبوية .

وقد أسهم مساهمة كبيرة فى نشر القرآن الكريم حتى كان من فى حلقته أزيد من ألف رجل ، ولكل عشرة منهم ملقن ، وكان أبو الدرداء يطوف عليهم قائماً فإذا أحكم الرجل منهم تحول إلى أبى الدرداء يعرض عليه قراءته .

رحم الله أبا الدرداء وأحسن مثواه .

سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه

يقول الإمام الذهبى :

إنه الإمام الفقيه المجتهد الحافظ ، صاحب رسول الله ﷺ ، أبو هريرة الدوسى اليمانى سيد الحفاظ الأثبات .

كان مقدمه على رسول ﷺ وإسلامه فى أول سنة سبع عام خيبر ، واختلف فى حضوره هذه الموقعة أو مجيئه فى آخرها بعد الفراغ منها ، وقد صحب الرسول ﷺ أربع سنين . . وقد لازم المسجد وقاسى الجوع ، وعاش عيشة متقشفة مع أهل الصُّفَّة .

وقد انتفع بملازمة الرسول ﷺ قال له مروان يوماً : يا أبا هريرة . . إن الناس قد قالوا : أكثر الحديث عن رسول الله ﷺ ، وإنما قَدِمَ قبل وفاته بيسير . فقال أبو هريرة : قدمت والله ورسول الله ﷺ بخيبر ، وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين سنة ، سنوات . . وأقمت معه حتى توفى . . أدور معه فى بيوت نسائه ، وأخدمه ، وأغزو وأحج معه ، وأصلى خلفه ، فكنت أعلم الناس بحديثه . وعدّه ابن سعد من كبار المفتين بالمدينة بعد وفاة عثمان رضى الله عنه . .

وكان كثير العبادة ، قال أبو عثمان النهدى ، تضيفت أبا هريرة أى كنت ضيفاً عنده –

سبعاً . فكان هو وامرأته وخادمته يتناومون الليل أثلاثاً : يصلى هذا ثم يوقظ هذا ويصلى هذا ثم يوقظ هذا وكان يصوم الاثنين والخميس . .

وولاه عمر على البحرين فكان فيهم نعم الأمير – ولاه معاوية على المدينة وكان مروان فى ولايته على المدينة يستخلف أبا هريرة .

ونخلص من ذلك إلى أن أبا هريرة عاش فترة إسلامية بالمدينة مصاحباً الرسول ﷺ ، وخادماً له وكان من أئمة المحدثين والمفتين وعلماء المسلمين ، جمع بين القول والعمل وكانت وفاته بالمدينة ودُفن بالبقيع وكل ما يقال عن أبى هريرة من سوء فإنه من نزغ الشيطان ، فقد كان رضى الله عنه من صفوة الصحابة رضى الله عنه وأرضاه .

فى آل البيت رضوان الله عليهم

لقد وضع الله سبحانه وتعالى البركة فى نسل سيدنا الحسن وفى نسل سيدنا الحسين ، وتفرق أفراد الأسرة الشريفة فى أقطار الأرض فراراً من الاضطهاد ، أو سعياً وراء الرزق أو لغير ذلك من الأسباب .

وليس ببعيد إذن أن تكون هذه الأسرة ، أو تلك فى هذا القطر أو فى ذاك من ذرية سيدنا الحسن أو من ذرية سيدنا الحسين ، أو من ذريتهما معاً أى تكون الوالدة حسنية والوالد حسينيًّا أو العكس .

ذلك كله ممكن ولا استحالة فيه ، ومرجع الأمر إذن إنما هو شجرة الأنساب .

على أن ما يجب أن يكون نصب أعيننا أن الميزان الإلٰهى إنما هو التقوى ، ولقد قال الله سبحانه:(إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ولقد مات ابن سيدنا نوح غريقاً مشركاً ، ولما قال سيدنا نوح يستعطف ربه فى ابنه :

(ربِّ إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق) .

قال الله له موضحا ومربيا ومعلماً إنه ليس من أهلك ، ثم علل سبحانه وتعالى ذلك بقوله : (يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح) وزاد سبحانه هذا التعليل شيئاً من العتاب فقال : (إنى أعظك) فالعبرة إذن إنما هى بالتقوى .

ولقد ضرب الله الأمثال للناس موضحاً هذا المعنى على أنحاء شتى فقال سبحانه : (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط).

ثم قال سبحانه فى الطرف الآخر :

(وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون) . وموازين الله سبحانه لا تنظر إلى نسب ولا إلى مال ولا إلى جاه ، ولا إلى عصبية : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره) .

ولقد قال ﷺ : سلمان منا آل البيت ، وإنما كان سلمان من آل البيت – وهو فارسى – لأنه رضى الله عنه كان يعمل ما يرضى الله ورسوله .

ويقول الله تعالى : (فإذا نُفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . .) وقال ﷺ : « يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار ، فإنى لن أغنى عنك من الله شيئاً » ، وقال : « الجنة لمن أطاعنى ولو كان عبداً حبشيًّا ، والنار لمن عصانى ولو كان شريفاً قرشيًّا » ، العبرة إذن إنما هى بالتقوى .

فى عبد الله بن سبأ ، وكعب الأحبار ، ووهب بن منبه .

يختلف تقدير أسلافنا رضى الله عنهم بالنسبة لعبد الله بن سبأ وكعب الأحبار ووهب بن منبه .

فأما عبد الله بن سبأ فقد خرج على الإسلام وأثار الفتن على عثمان رضى الله عنه ، وكان عامل هدم وفساد فى جسم الدولة الإسلامية عقيدة وسياسة . . وأما كعب الأحبار : فقد روى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قوله : إن عند ابن الحميرية لعلماً كثيراً .

وروى معاوية رضى الله عنه ، فيما رواه البخارى من حديث الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن قال : إنه سمع معاوية يحدث رهطاً من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار فقال : إن كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب .

وكعب الأحبار أسلم فى عهد سيدنا عمر وهو لا يروى عن النبى ﷺ مباشرة وإنما يروى على الخصوص عن عمر وصهيب وعائشة رضى الله عنهم .

ورواة الحديث يحتاطون من روايته ولم يرو عنه الإمام البخارى . وقد نخل أسلافنا رضى الله عنهم حديث رسول الله ﷺ نخلا دقيقاً وبينوا منه الصحيح وغير الصحيح .

أما وهب بن منبه فيقول عنه صاحب ميزان الاعتدال إنه : « من خيار علماء التابعين وله فى آخر خلافة عثمان حديثه عن أخيه همام فى الصحيحين » . أى البخارى ومسلم .

وجمهور المحدثين على أنه كان ثقة صادقاً ، ومن ثقة المسلمين فيه أنه كان على قضاء صنعاء ، وقد قال مثنى بن الصباح : « لبث وهب عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوء » ولقد قال عنه أبو زرعة والنسائى : ثقة . وذكره ابن حبان فى الثقات .